التجديد في الفكر الإسلامي
تأليف الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام.
قراءة وعرض: أ. محمد محمود القرشي[*]

التجديد سنة من سنن الحياة، لا يمكن أن تستمر بسلام إلا إذا تحقق هذا التجديد بشكل مستمر؛ لذا فإن المجتمعات المتقدمة لديها دائما من يقوم بالتجديد فيها.

ولما كان الدين الإسلامي هو آخر الأديان، ويقوم على أصول ومنطلقات ثابتة، فقد وجد في مجتمعات عديدة؛ ولذا فإن التجديد في فهم الدين ضرورة للتأكيد على أن الإسلام دين صالح للتطبيق والتجديد والتطور.

لقد عاش الإسلام الآن ما يقرب من خمسة عشر قرنا، وكان أتباعه في البداية قلة، ولكن عددهم زاد الآن زيادة كبيرة، والتغيرات التي مرت بالحياة في هذه الحقبة من الزمن كثيرة وعميقة في نفس الوقت، مما أثر بشكل أو بآخر على الفكر الإسلامي.

ومما لا شك فيه أن للفكر الإسلامي مصادر يستمد منها أحكامه وهى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ثم اجتهادات الفقهاء والمفكرين.. كما أن هذا الفكر انطوى على مدارس فقهية وفلسفية ومعلوماتية كثيرة لم تجمد في أية مرحلة من مراحل الزمن ولم تقف أبداً عند محطة من محطات التاريخ المتعددة.

ومع ذلك فلابد من الاعتراف بأن الفكر الإسلامي قد اعتراه بعض صور القصور بفعل أسباب وظروف عديدة، مما جعل البعض يقول بإقفال باب الاجتهاد في الفقه الإسلامي لفترة طالت لبعض الوقت، وترتب عليها أن أصبح فقهنا وفكرنا شرحاً على المتون تارة، وتكراراً للمكتوب في عصور سابقة تارة أخرى وهكذا، ولكن المجتمعات الإسلامية بدأت تصحو وتستيقظ، وهذه الصحوة بدأت نتيجة لإعادة الدين إلى حياة المسلمين، وإن أخطأ البعض في الاجتهاد مما أوجد أكثر من اتجاه في تحديد التجديد المطلوب.

وقد أحسن المؤلف في هذا الكتاب أن بحث مختلف المشكلات المتصلة بالتجديد، حيث تناول في الفصل الأول معنى التجديد والضرورات التي تستدعيه منطلقا من أن التجديد له

---

[*] باحث برابطة الجامعات الإسلامية.

أهمية فائقة في مختلف شئون الحياة، وفي مجال الدراسات الإسلامية سواء ذات الطابع الفكري أو الفلسفي بشكل عام، أو في مجال الدراسات ذات الطابع الفقهي، مشيرا إلى أن الرسول الكريم ﷺ قد نبهنا إلى أن ثمة تجديد لأمر الدين، وأن الله يبعث للأمة من يقوم بهذا التجديد على رأس كل مائة سنة، وقد يكون المجدد فرداً أو جماعة أثناء المائة سنة أو في بدايتها أو نهايتها، وهي تفاصيل قد تناولها المؤلف في فصله الأول في مبحثين – الأول: هو التعريف بالتجديد، والثاني الضرورات التي تستدعي هذا التجديد.

ففي المبحث الأول: وهو التعريف بالتجديد، أتى المؤلف بالآيات القرآنية التي توضح بشكل جلي أن أموراً ستجد في حياة الناس، ربما لا يدركون مدلولها وحكمها الشرعي الصحيح بناء على ذلك، ولكن لو عرضوها على أهل الفكر والاجتهاد وطبقوا عليها ما فصل بعد ذلك تحت عنوان علة التشريع أو حكمه لأدركوا مدلولها.

كما أن القرآن الكريم يدعو أصحابه إلى التفكر والتدبر في مخلوقات الله، كما يستخدم دائما آيات تشير إلى أهمية أعمال العقل والاستفادة مما خلق الله لنا لنفهم خلق الله، كما أو رد المؤلف بعض الأحاديث التي تشير إلى هذا المضمون.

وفي المبحث الثاني: وهو الضرورات التي تستدعي التجديد، نجد المؤلف قد أجملها في عدة أمور منها، عالمية الإسلام، من منطلق أنه دين عالمي وخطاب موجه إلى الناس كافة، ثم إنه يصلح لكل زمان ومكان، ثم عرج المؤلف إلى الثورات والمتغيرات المختلفة التي مر بها العالم، موضحاً أن الإسلام لا بد وأن يواكب هذه المتغيرات لكي لا يكون المسلمون أقل نجاحاً من غيرهم فلا ينتقدهم بعدئذ منتقد أو يطمع فيهم طامع، ويحفظوا دينهم، وتسمو دنياهم.

ثم ينتقل بنا الفصل الثاني إلى وسائل التجديد من خلال ثلاث مباحث، الأول هو بعض الخصائص التي تميز النظام القانوني الإسلامي المعاصر، والمبحث الثاني الحكم التي يقوم عليها التشريع الإسلامي من خلال العدالة والتشريعات الإسلامية ودور العدالة في صناعة القاعدة القانونية، والإعجاز القرآني في هذا المجال وأنواع المصالح، ثم المبحث الثالث والذي يتحدث فيه المؤلف عن تجديد وتطوير دراسات الفقه الإسلامي، بوصف الواقع الذي تدرس به الشريعة، ثم يستعرض أسباب الوضع القائم من التخلف والفرقة، والجمود

وإغلاق باب الاجتهاد، والنتائج المترتبة على هذا الواقع، ثم يقدم طرق الحل لهذا الواقع، وفي الفصل الثالث يناقش المؤلف ضوابط التجديد مع الحفاظ على الهوية الإسلامية وهى الثوابت في الفكر الاقتصادي الإسلامي، والثوابت الحضارية للأمة الإسلامية، والثوابت في تطوير التعليم، والقيم العليا في المنهج الإسلامي.

مجالات التجديد: وهو ما بحثه المؤلف في الفصل الرابع حيث استعرض التجديد في ثلاثة مجالات، عرضها في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التجديد في بعض مسائل حقوق الإنسان وبالذات في حقوق الإنسان المتصلة بالبيئة وحقه في الحياة في بيئة صحية مناسبة، حيث ساق لنا – بنظرة ثاقبة وموضوعية – الطائفة الثالثة لحقوق الإنسان، مركزاً في هذا الصدد على الجيل الثالث من أجيال حقوق الإنسان، أو ما يعرف بحقوق التضامن، حيث تتميز هذه الحقوق بأنها تحتاج إلى التعاون بين مختلف الدول والشعوب لضمان قيامها ولكفالة تمتع الأفراد بها، وأنها تفترض تعاونا كبيراً، ونوعاً من التكافل بين الأسرة الدولية، وأن هذه الطائفة الجديدة من الحقوق تتطلب الاعتراف بالدول النامية أو دول العالم الثالث كأشخاص قانونية تحتاج إلى حماية خاصة، كما شرح شرحاً وافيا التجديد في تقرير حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة في الشريعة الإسلامية، وموقف الإسلام من البيئة، موضحاً حرص الشريعة الإسلامية على أن يحيا الإنسان في بيئة صحية مناسبة.

وأما المبحث الثاني: فقد خصصه المؤلف للتجديد في مجال بلورة معاصرة للعلاقة بين الإسلام والآخر.

ثم خصص المبحث الثالث للتجديد في الخطاب الإسلامي، وقد بني خطته في هذا الفصل على الأسس الآتية.

أولاً: أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ لذا فقد حدد المشكلة بوضوح شارحاً الحلول القانونية والعلمية للمشكلة، ثم عرض لأحكام الفقه الإسلامي منها.

ثانياً: وضع المؤلف في اعتباره التجديد الحديث الذي يبذل على مستوى القانون الدولي والمنظمات الدولية، منطلقا من أن الفقه القانوني الدولي الحديث قد كون ثروة لا يمكن إهدارها أو تجاهلها.

ثالثاً: حاول المؤلف بذل جهده للاجتهاد في تفسير النصوص والأخذ بأي مدلول موسع لا يعتمد على مذهب معين، إذ إن المذاهب في مجملها لم تتعرض لهذه القضايا الجديدة.

ورأي المؤلف أنه يجب الاستفادة من الوسائل الحديثة في تكوين الدعاة والإعلاميين مع استمرار تدريبهم حتى يلموا بحقائق العصر؛ وأنه يجب تشجيع المواهب والقدرات الكامنة لدى الشعوب الإسلامية على أن تظهر ما لديها حتى يمكن أن تكون رسالة إسلامية تعرف الثوابت وتحافظ على الشخصية الإسلامية بمقوماتها المعروفة ووفقا للضوابط الشرعية المتفق عليه.

ثم نأتي إلى الفصل الخامس الذي جاء تحت عنوان "المنظمات الدولية الإسلامية والتجديد" حيث رأي المؤلف أن أعمال المنظمات الدولية الإسلامية ومختلف أنشطتها هو اتجاه طيب لتجديد النظام الدولي الإسلامي وتحويله من دول منفردة تعيش في إطار النظام الدولي يتخذ طابع وحدوي. كونفدراليا أو فيدراليا أو حتى يأخذ شكل الدولة المتحدة الواحدة. كما هو طموح المسلمين منذ ألغيت دولة الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م.

ورأي المؤلف أن دراسة أفكار الوحدة والتقارب والتكامل، تعد دراسات في صميم تجديد الفكر الإسلامي، وهذا ما قام به في المبحث الأول من الفصل الخامس، حيث استعرض تجربة جامعة الدول العربية في القسم الأول.

ثم تعرض في القسم الثاني إلى تجربة منظمة المؤتمر الإسلامي والتجديد المطلوب، واستعرض أيضا دور المنظمات الإسلامية في التجديد، ووضع رابطة الجامعات الإسلامية أنموذجاً، موضحاً أن عمل رابطة الجامعات الإسلامية قد ارتبط ارتباطا واضحاً بقضية تجديد الفكر والفقه الإسلامي ومختلف العلوم الإسلامية، وأنها عقدت مؤتمرات عديدة تتصل بالتجديد سواء بشكل مباشرا وغير مباشر، وأن الرابطة قد شكلت فرق عمل لدراسة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية حتى القرن المقبل، وهذا ما تناوله المؤلف في القسم الأول من المبحث الثاني، أما القسم الثاني من المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان "نحو استراتيجية لتوحيد التعليم العالي في العالم الإسلامي" وخلُص فيه إلى أن الجامعات الإسلامية تحتاج إلى عمل جدي وحاسم للانطلاق إلى مستوى التحديات التي تمر بها الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر، كما نبه المؤلف إلى أهمية متابعة النبوغ بين شباب العالم

الإسلامي من قبل الجامعات ومختلف مؤسسات الدول وتشجيعه، باعتبار أن الإبداع والنبوغ هما الكفيلان بتقدم الأمم والشعوب.

ثم جاء الفصل السادس شارحاً نتائج وآثار إحياء التجديد في الفكر الإسلامي، حيث تناول في مبحث أول: التجديد وربط الأمة بتراثها، والتنظير الجديد لمستقبلها، حيث أوضح أن التجديد دائما مرتبط بالعودة إلى التراث، وإحياء ما اندثر من معالم الدين الصحيح، وأن التجديد يعني البعث، وأن حياة أية أمة وما تعيش عليه من فكر إنما يعتمد على جزء من الماضي وجزء من الحاضر، والتنظيم الجيد للمستقبل؛ لأن التاريخ لن يقف عند نظام، وأن التطور لن يجمد عند مرحلة ما، أو عند مذهب معين، وأن الأمة القوية هي التي تدرس ماضيها جيدا لتأخذ منه لمستقبلها حتى تعيش الماضي والحاضر والمستقبل.

وتناول في مبحث ثان: التجديد ودوره في إحياء قوة العقل في الإسلام، مشيراً إلى أن فهمنا للقرآن الكريم فهما صحيحا لا يمكن أن يتم بدون إعمال العقل بشكل عميق، حيث جاء بالآيات الدالة على صدق ما يقول موضحا أن التجديد في أساسه لن يكون إلا عن طريق الاعتماد على العقل والنقل معاً.

وتناول في مبحث ثالث: التجديد وتخليص الإسلام مما علق به من وجوه التخلف والأباطيل على مر العصور، حيث أشار في هذا المبحث إلى أن تفسير التجديد بأنه عودة للأصل نقيا كما كان، جعل بعض من تنكروا للأمة وفهموا تراثها – فهما سيئا– على أنه يعني القتل والتدمير يراجعون أنفسهم ويتوبون إلى الله، وأمّل المؤلف أن يؤدى التجديد إلى تخليصنا من عوامل الانحطاط في حياتنا.

وأخيراً من قراءة هذا الكتاب القيم أرى أن المؤلف قد قام بجهد كبير منطلقا من تصوره أن إحياء التجديد في الفكر الإسلامي من شأنه أن يحقق الكثير من المزايا للمسلمين ولغير المسلمين، فالتجديد يجعل المسلم يعيش العصر ويصل الماضي بالحاضر، والحاضر بالمستقبل، كما أن التجديد يؤدى إلى عودة الإسلام ناصعا نقيا متخلصا مما ران عليه من ترهات، ماحياً ما ألحق به مما ليس منه في شيء على مر الزمان.